wadod.org

# الذخائر

## مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق


في هذا العدد:

- مرحباً بالعام الجديد .. خطة المجلة ..... بقلم : رئيس التحرير
- الشعر الجاهلي في موازين النقاد القدامى والمحدثين ..... د. جميل علّوش
- لغة الإعلام الديني ..... أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي
- شعر هارون الرشيد ..... دراسة وتحقيق أ. حسين عبد العال اللهيبي
- عبد الله بن الشمر، شاعر أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم ونديمه ومنجّمه: دراسة وتحقيق : ..... د. حياة قارة
- ترجمة سليمان بك ووالده وولده ..... أ. معن حمدان علي
- فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية ـ القسم الخامس ..... أ. سلمان هادي آل طعمة
- أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية لأبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي المراكشي عرض: ..... د. عبد الآله أحمد نبهان
- مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري ..... أ. سمير القدوري
- المستدرك على { المستدرك على الجزء الثاني من المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع} أ. هلال ناجي
- إصدارات ..... إعداد : أ. حسن عربي الخالدي


العدد الخامس - السنة الثانية - شتاء ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

wadod.org

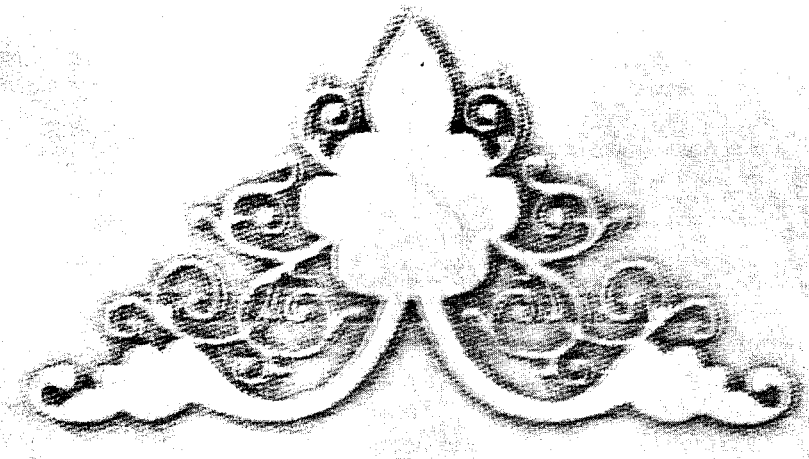

# الأبحاث والدراسات

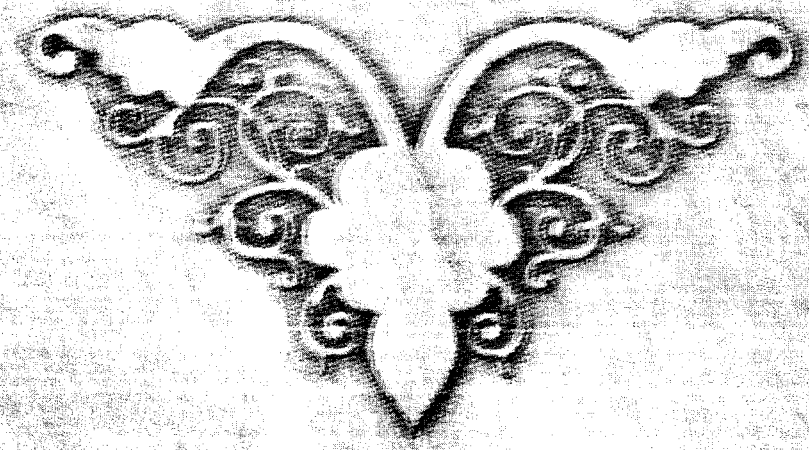

wadod.org

# الشعر الجاهلي
# في موازين النقاد القدامى والمحدثين

□ الدكتور جميل علّوش - الأردن

لقد كان الشعر الجاهلي باستمرار موضع خلاف بين المؤرخين والنقاد القدامى والمحدثين. لقد كان موضع خلاف من حيث صحته وموثوقيته، وهي القضية التي أطلق عليها مؤرخو الأدب ونقاد الشعر اسم الانتحال. وكان موضع خلاف من حيث مستواه الفنيّ ومدى اتساقه مع قواعد الفنّ الشعري.

ولست في معرض الحديث عن القضية الأولى أي قضية الانتحال لصلتها بالتحقيق التاريخي الذي يخرج عن نطاق اهتمامي. وانا اكثر ميلاً للنظر في الموضوع من جانبه الفنّي الصرف الذي يمسُّ الذوق الأدبي ويمتّ إليه بصلة. وعلى الرغم من أنّ ما كتبَ عن الشعر الجاهلي كثير، وهو يملأ بطون تاريخ الأدب العربي ومصادر النقد الأدبي، فإنّ معظم ما يكتب بهذا الشأن هو ممّا يُعتمد فيه على التقليد والنقل المجرد الذي يأخذ فيه اللاحق عن السابق، دون كثير او قليل من التأني وإطالة النظر.

ولست أريد أن أطيل في ذلك فكل ما أريد أن أقوله - بناء على خبرة طويلة في التعامل مع الشعر ممارسةً ونقداً - أنني لا أعد الشعر الجاهلي - كما يعدُّه سواي - النموذج الأرقى والأرفع للشعر العربي، وأنّ ثمة نماذج أرفع منه في شعر العصور اللاحقة وبخاصة الشعر العباسي والمعاصر. وكنت قد كتبت أشياء بهذا الصدد في صحفنا المحلية قبل بضع سنوات، فثارت عليّ ثائرة الكثيرين ممن يتلقون الآراء النقدية تقليداً ونقلاً لا مدارسة وعقلاً. ولذلك رأيتَ أن أفزَعَ إلى تراثنا النقدي، فأرى ما يقوله المؤرخون والنقاد العرب في هذا الموضوع، لما لتلك الاقوال والآراء من قيمة

wadod.org



وأهمية. فلقد عثرت في أثناء تنقيبي في بطون المصادر والمراجع على كل وجيه وطريف منها. وسأتناول ذلك كلّه في ثلاث حلقات:

الأولى: سأديرها حول ما استخلصته من أقوال القدامى.

الثانية: سأديرها حول ما استخلصته من أقوال المعاصرين.

الثالثة: سأديرها حول نظرية ابن خلدون في الشعر الجاهلي.

وقد أخرت الحديث عن نظرية ابن خلدون لأن ما يقوله بهذا الشأن يحمل من الأهمية وقوة المنطق وحسن التعليل ما يستحق به أن يعد نظريّة من نظريات النقد الأدبي التي تجمع أبرز ما كتبه النقاد القدامى والمحدثون في الموضوع. وهي لذلك كلّه تستحق أن نوليها عناية خاصة واهتماماً متميزاً.

## الشعر الجاهلي في موازين النقاد القدامى

وسأكتفي من كل ذلك بالسرد دون التحليل والتعليل للأسباب التالية:

١- خشية الإطالة والإملال والخروج عمّا يتحمله المقام.

٢- أهمية التوثيق التاريخي في بحث قضية معاصرة.

٣- محاولة الابتعاد عن النزوات الشخصية إلى التأني والموضوعية.

٤- لكي لا أتحمل وحدي تبعة هذا الرأي.

وسأسوق تلك الأقوال حسب تسلسلها التاريخي على النهج التالي:

**١- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر: (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)**

نقل الدكتور داود سلوم عن الجاحظ أنه كان يفضل شعر أبي نواس على شعر المهلهل، وأنه بدأ يشكك في القيمة التاريخية للكثير من الشعر الذي ينسب إلى المعمرين من شعراء الجاهلية، ويعرض إلى مسألة التقديس للقديم لا لشيء إلاّ لأنه قديم في كثير من السخرية والاستخفاف[1].

**٢- الصولي (أبو بكر محمد: (ت٣٥٥هـ/٩٤٦م)**

قال الصولي: وقد وجدنا من شعر هؤلاء (يعني المتأخرين) معانيَ لم يتكلم بها القدماء (يعني الجاهليين) ومعاني أومؤوا إليها وأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها. وشعرهم

(١) داود سلوم: مقالات في تاريخ النقد العربي ص٤٤٢-٤٤٣.

wadod.org



مع ذلك (يعني المتأخرين) أشبه بالزمان، والناس أكثر استعمالاً له في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم[١].

**٣- الجرجاني (علي بن عبد العزيز: (ت ٣٩٢هـ/١٠٠١م)**

قال الجرجاني بهذا الشأن: ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا (يعني حظوا) بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفيّة. لكنّ هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذبّ عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام[٢].

**٤- الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك محمد: (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م)**

قال: ولما كان الشعر عمدة الأدب وعلم العرب، الذي اختصت به عن سائر الأمم، فكان أشعار الإسلاميين أرق من أشعار ا لجاهليين، وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين. وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين، لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حد الشعر إلى حد السحر، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم وثمرات قرائحهم، وابتكار أفكارهم، أتمّ الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة، وأوفرها نصيباً من كمال الصناعة ورونق الطلاوة[٣].

**٥- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)**

قال: وإذا تأملت هذا تبيّن لك ما في أشعار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين، ثم في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء، إلا في الندرة القليلة والفلتة المفردة. ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرّت قطُّ بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي، والمعاني أبداً تتردد وتتولد، والكلام يفتح بعضه بعضاً[٤].

---

(١) أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام، ص١٧.

(٢) علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٤.

(٣) عبد الملك بن محمد الثعالبي: يتيمة الدهر ٣/١.

(٤) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ٢٣٨/٢.

wadod.org



**٦- الخفاجي (عبد الله بن محمد بن سنان: (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)**

قال في حديثه عن الشعر الجاهلي: زعمت طائفة من جهالهم (يعني الرواة) أنّ العلة هي مجرّد التقدم في الزمان، واستمروا في الترتيب، فجعلوا الشعراء طبقات بحسب تواريخ أعصارهم. ويقول: وإن فضيلة الشعراء القدامى في اللغة والأسلوب لا تجعل شعرهم دائماً هو الأحسن[١].

**٧- ابن الأثير (نصر الله ضياء الدين: (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)**

قال ابن الاثير: إنّ اطلاق قول القائل بأنّ المتقدم أفضل من المتأخر، أو أن أولئك اخترعوا المعاني وابتدؤوها، فإنّ هذا قول غير متجه، لأنّ اولئك كانوا من بني آدم وهؤلاء من بني آدم ولو تقدم هؤلاء في الزمن وتأخّر أولئك لسبقوا إلى المعاني كما سبق أولئك[٢].

ويضيف ساخراً من تفضيل الجاهليين على غيرهم: لا شك أن أمرأ القيس أو من في طبقته لو كان لأحدهم رأسان أو لسانان أو كان له أربع أيد أو أربع أرجل، إن كان النظر إنما هو في تقدم الزمان، فلا شك أن أولئك أشعر. وإن كان النظر انما هو في الألفاظ والمعاني فلو عاش امرؤ القيس ثم مات ثم عاش لما أدّاه فكره إلى تدقيق النظر في هذا المعنى الذي أورده المتنبي في هذا البيت:

لو قلت للدنف المشوق فديته ... ممّا به لأغرته بفدائِهِ[٣]

ثم يضيف: ولا ينبغي أن يوقف على شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى، فإنّ كلاً من أولئك أجاد في معنى اختصّ به؛ حتى في وصفهم أمرأ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهيراً إذا رغب والأعشى إذا شربَ. وأما الفرزدق وجرير والأخطل فإنهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني المختلفة. وأشعرهم عندي الثلاثة المتأخرون، وهم أبو تمام وأبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي. فإنّ هؤلاء لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء[٤].

**٨- الخفاجي (شهاب الدين أحمد: (ت١٠٦٩هـ/١٧٥٨م)**

قال الشهاب الخفاجي: إنّ المتأخرين وإن تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالركب لا سيّما شعراء المغرب. فقد أتوا بمعان بديعة وارتقوا إلى مرتبة رفيعة كيزيد

---

(١) ابن سنان الخفّاجي: سرّ الفصاحة ص٣٣٢.

(٢) ضياء الدين بن الأثير: الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهّان، ص٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٤) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر ٢٧٤/٣.

wadod.org


ابن خالد الإشبيلي، له في وصف السفن معان لم يسبق إليها. ومن شعرائهم ابن خفاجة[١].

ويبدو مما سلف أنّ عدداً من قدامى المؤرخين عالجوا الموضوع وحسموا القول فيه من خلال النظر في قضيّة القديم والحديث، وأنهم لم يكونوا يحسنون الظن بالشعر الجاهلي كما يُحسنهُ بعض المتوهمين في أيامنا هذه. فقد أطلق هؤلاء المؤرخون والنقاد الحكم مقروناً بتعليله وتفسيره، فلم يوردوه مبهماً ملغزاً مجمجماً؛ بل أطلقوه غاية في الصراحة والوضوح بحيث لا يدع مجالاً للشك فيما يقصدون ويريدون، وبخاصة ما قرره الجرجاني وابن الأثير وابن خلدون كما سنرى فيما بعد، فإنهم جعلوا مما توصلوا إليه في الموضوع نظرية نقدية لا تحتمل الشك أو التأويل. إنهم جميعاً يرون أن الشعر الإسلامي خير من الجاهلي وأن الشعر العباسي خير من الجميع.

## الشعر الجاهلي في موازين النقاد المعاصرين

هذه ما تعتقده جمهرة من كبار النقاد القدامى في الشعر الجاهلي. على الرغم من أنّ الكثير في أيامنا يعتقدون خلاف ذلك، فيتصورون أنّ الشعر الجاهلي أرفع نماذج الشعر العربي، ويقرنون ذلك بأدلة توهموها وأسباب اعتقدوها. ومن تلك الأدلة والأسباب ما يلي:

١- أنّ شعر الجاهلية هو شعر الفطرة والصفاء، وأنّ ما جاء بعده من شعر هو مصنوع متكلف.

٢- أنّ الشعر الجاهلي معصوم من الخطأ واللحن بعكس سواه من شعر العصور التالية.

٣- أن الشعر الجاهلي يمثل البيئة العربية خير تمثيل لما يتسم به من صدق ونقاء.

ومعظم من يتحدثون عن الشعر الجاهلي يصعب عليهم أن يصدقوا أنّ الشعر الجاهلي لا يخلو من الخطأ والإحالة والتفكك واللحن، وهو يتجاوز في ذلك غيره من أنماط الشعر العربي المختلفة. ولكنّها عين الرضا الكليلة عن رؤية العيوب.

---

(١) صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم ٣٢٧/١.

wadod.org



ولعلّ سرَّ الإعجاب بالشعر الجاهلي ناجم عن العناية بسير الشعراء وأخبارهم وقصص بطولاتهم أكثر من العناية بقصائدهم، فلكل شاعر قصة تجتذب القراء وتستأثر باهتمامهم. فممّا يشوقنا في معلّقة امرئ القيس الجانب الغزليُّ فيها وحديثه عن عنيزة، ووصفه لما سمّاه المؤرخون بيوم الغدير أو يوم دارة جلجل. هذا علاوة على قصة مطالبة الشاعر بثأر أبيه وذهابه إلى القسطنطينية، ليستنجد بالروم على أعدائه، كلُّ ذلك يغري بالمتابعة والاستقصاء ويهيئ النفس لقراءة المعلّقة وغير المعلّقة من شعر امرئ القيس. وكذلك يجذبنا لقراءة معلّقة عنترة العبسي غزله بعبلة وقصص فروسيته ثم خلافه مع أبيه والقبيلة. وممّا يجذبنا في معلّقة زهير بن أبي سلمى مدحه لهرم بن سنان وعبد الرحمن بن عوف لما تحمّلاه من تكاليف الصلح بين عبس وذبيان. وهكذا نحن في قصة خلاف النابغة مع النعمان بن المنذر واعتذاره له. وقصة مصرع طرفة بن العبد، وقصة قتل عمرو بن كلثوم لعمرو بن هند. ودفاع الحارث بن حلّزة عن قبيلته بكر في حضرة عمرو بن هند. إلى ما هنالك من القصص والأخبار فلكل شاعر قصة ولكل قصة ألوان من الطرافة والإمتاع. وهكذا تتعدد القصص بتعدد الشعراء والقصائد. وكان الرواة فيما سلف من العصور يتلون هذه القصائد في المجالس، فيقدمون لكل قصيدة بالقصة التي أوحت بها وأدّت إلى نظمها. وكانت عناية الناس بالقصة تبعث فيهم الرغبة لسماع القصيدة. بل إنّي اكتشفت من خلال تدريسي للطلبة والطالبات على مستوى الدراسة الثانوية والجامعية أنهم يحبون سماع قصص الشعراء الجاهليين وأخبارهم أكثر من حبهم لسماع شعرهم ومعلّقاتهم.

ومن هنا نشأت الرغبة في سماع الشعر الجاهلي والحماسة لمتابعته والتأمل في معانيه وإطالة النظر في أعطافه. ونحن لا ننكر على الناس هذه الرغبة. فقد تملكتنا في مقتبل العمر ونحن على مقاعد الدراسة، فتتبعنا الشعر الجاهلي وقرأنا قصصه وأخباره وسير شعرائه وأبطاله، بيد أننا صرنا بتقادم الزمن ننظر إلى هذا الشعر من جوانب أخرى غير تلك التي كنا ننظر فيها قديماً. فنحن نعمل ذوقنا فيما نقرأ فنتلمّس حسن الصياغة وجمال التركيب واستقامة الوزن وسلاسة الموسيقى ومراعاة قواعد الفن الشعري، إلى غير ذلك مما يمكن أن يمسَّ افتقاده الذوق، ويجرح نقصانه الحاسة، فينأى بنا عن هذا الشعر، ويجعلنا نفزع إلى أفياء الشعر العباسي والمعاصر.

ولم نقصد بذلك أنّ الشعر الجاهلي فقد مقوّمات وجوده. فهو شعر أصيل عريق، وفيه من لمسات الجمال وملامح الإبداع ما لا يستطيع أن ينكره منكر، بيد أنّ فيه من

wadod.org


مواطن النقص والتقصير ما يتدانى به عن بلوغ أعلى مراتب الشعر العربي. وهي المكانة التي ينزله فيها كثيرون ممن يتناولون هذا العلم بالرواية والسماع دون الخبرة والممارسة والتذوق. فالشعر الجاهلي ليس أرفع نماذج الشعر العربي. وقد حشدنا قبل قليل شواهد على ذلك من أقوال نقاد القدامى. ونحشد الآن شواهد أخرى من أقوال عدد من النقاد المعاصرين على النهج التالي:

**١- أحمد أمين:**

الكاتب والمؤرخ المعروف كتب سلسلة من المقالات بعنوان: (جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي) اقترح في نهايتها إلغاء دراسة الأدب الجاهلي من برامج التعليم الثانوي وما جرى مجراها، وأن تقتصر دراسة الأدب الجاهلي على المختصين بأقسام اللغة العربية من الأزهر ودار العلوم[١].

**٢- أحمد حسن الزيات:**

صاحب كتاب (تاريخ الأدب العربي)، قال بهذا الشأن: لكل أولئك طبع الشعر الجاهلي بطابع خاص، ومازه بسمة ظاهرة. فمن خصائصه الصدق في تصوير العاطفة وتمثيل الطبيعة. فلا تجد فيه كلفاً بالزخرف ولا تكلفاً في الأداء، فكثر لذلك الإيجاز وقل المجاز وندرت المبالغة وضعفت العناية بسياق الفكر على سنن المنطق واقتضاء الطبع. فعلائق المعاني واهنة واهية، ومساق الأبيات مفكك مضطرب، فإذا حذفت أو قدمت أو أخرت لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص[٢].

**٣- جورج غريب:**

صاحب سلسلة الموسوع في الأ دب العربي. قال: للشعر الجاهلي في مبناه عمود متبع من حيث الوزن والقافية ووحدة البيت، يتبع ذلك تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة، مما أورث تفككاً في البناء وتنقلاً في التجارب ووقوفاً عند الخاطرة إلخ[٣]. وقال أيضاً: ونرى في هذا الشعر تفككاً في الأجزاء وفوضى تأليف لا يراعى معها السياق الطبيعي للأشياء[٤]. وقال: الشعراء الجاهليون يسيرون في شعرهم على وتيرة واحدة، فنظام القصيدة يكاد يكون واحداً في المنهج المتبع، والصور تكاد تكون

---

(١) محمد الكتاني: الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث ١١١٦/٢.

(٢) أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص٣٢.

(٣) جورج غريّب: دراسة نصوص، ص٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٧.

wadod.org



محصورة ضمن إطار معروف. إنها تقيّد العقل والخيال بقيود التقاليد، حيث لا خلق ولا إبداع[١].

**٤- حنّا الفاخوري:**

صاحب كتاب (تاريخ الأدب العربي)، قال بهذا الشأن: ومن ثم فالشعر الجاهلي يكاد يخلو من كل منطق وترتيب عقلي، فليست للقصيدة وحدة تأليفية، وقد اهتم الشعراء بجمال المطلع مثلاً اكثر من اهتمامهم بجمال بناء القصيدة ووحدتها. وكان البيت الشعري مقياس عظمة الشاعر، ففضّل على غيره لأجل بيت أو أبيات[٢].

**٥- عباس محمود العقاد:**

الكاتب المشهور وصاحب المؤلفات الكثيرة، عرّج على هذا الموضوع فقال: وليس الذي نرويه من قصائد الجاهليين بالنموذج الذي يقتدى به في النظم، لأنها في الغالب أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود عليه، ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول. وفي تلك القصائد - غير التفكك وضعف الصياغة - كثير من العيوب العروضية والتكرار الساذج والاقتسار المكروه والتجوّز المعيب الذي يؤخذ من روايتهم له أنّ الشعر لم يكن عندهم فنّاً يستقل به صُنّاعه الخبيرون به، وإنما كان ضرباً من الكلام يقوله كل قائل ويُروى المحكم منه وغير المحكم على السواء[٣]. وقد عاد العقاد إلى هذا الرأي فأكده بصورة أو بأخرى في مواضع مختلفة من كتبه[٤].

**٦- محمد كمال حلمي بك:**

صاحب كتاب: (أبو الطيب المتنبي) تطرق لهذا الموضوع فقال: فما جمال الشعر الجاهلي إلا جمال نسبي باعتبار عصره. ولا يصلُحُ في مجموعه إلا لتلك الأيام. ولولا ذلك لبقي إلى هذا الوقت متداولاً بين الناس. وإني أظنّ أن المعروف المشهور من شعر الجاهلية قد بقي لسبب آخر غير حسنهِ وملائمته لذوق العصور المتأخرة، ذلك أنه أصل من أصول اللغة، ومرجع من أهم مراجعها، يستند إليه في كل علوم اللغة والدين على الأخص. فالشعر الجاهلي يدرس إذن كأنه شيء من الآثار القديمة.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص٦٦.

(٣) عبّاس محمود العقاد: مراجعات في الآداب والفنون، ص١٠٣.

(٤) عبّاس محمود العقاد: عيد القلم، ص١١٦.

wadod.org


وطلاب تلك العلوم التي أشرت إليها مضطرون لمعرفته مجبرون على تحصيله، لأنه طريق لابدّ من قطعه. وهذا لا يمنع أن يكون في الطريق ما يروق الناظر ويستوقف السائر من أنواع الجمال[1].

٧- وفوق ذلك كله نلاحظ أن كبار شعراء العصر، أقصد البارودي وشوقي وحافظ ومطران كان مثلهم الأعلى الشعر العباسي ممثلاً في أبي تمام والبحتري والمتنبي. ولم نجد أحداً من هؤلاء عارض شاعراً جاهلياً أو أعجب بشاعر جاهلي. وهذه دواوينهم تنضح بالأبيات التي تدل على إعجابهم بشعراء العصر العباسي، وإشادتهم بهم في كل مناسبة. قال شوقي:

إنّ الذي قد ردّها وأعادها ... في بردتيك أعادها في البحتري

وقال:

وكأنها في الفتح عمورية ... وكأنني فيها أبو تمام

وقال:

ولي درر الأشعار في المدح والهوى ... وللمتنبي درة وحصاة

أما حافظ فحين أراد أن يتباهى على شعراء الغرب ويفضل شعراء العرب عليهم لم يجد من يفتخر به من شعراء العرب إلا كبار شعراء العصر العباسي وكبار الشعراء المعاصرين.

قال في ذلك:

سل الفريد ولا مرتين هل جريا ... مع الوليد أو الطائي بميدانِ

في شعر صبري وشوقي ما نتيه به ... على نوابغهم دع شعر مطرانِ

فقد اختار حافظ أبا عبادة البحتري وحبيب بن أوس الطائي من فرسان الشعر العبّاسي. كما اختار صبري وشوقي ومطران من فرسان الشعر المعاصر. ولم يكد يتطرق إلى جاهلي ولا إسلامي. وكان شوقي قد فعل الفعل نفسه فقد ذكر البحتري وأبا تمام والمتنبي ولم يعرّج على جاهلي ولا إسلامي ولا معاصر لأن شوقي قلّما أثنى على ندّ أو قرين.

وهكذا يبدو مما حشدنا من شواهد أن القول بأن الشعر الجاهلي أرفع نماذج الشعر العربي لا يستند إلى مسوّغات فنية جمالية، وأنّ طائفة من كبار نقاد العصر ومؤرخيه

(١) محمد كمال خير بك: أبو الطيب المتنبي، ص١٣١.

wadod.org



أدركت ذلك ونبهت عليه، ووجهت الأنظار إليه، وقرنت ذلك كله بالدليل الواضح البرهان القوي. وقد يكون هذا كله كافياً لاثبات ما دعونا إليه من رأي، ولولا أننا نود الوقوف وقفة خاصة عند نظرية نقدية جهر بها ابن خلدون ونادى بالتمسك بها بهذا الصدد. فهيّا بنا إلى هذه النظرية.

## نظرية ابن خلدون

يجد المتتبع لما يكتب عن الجاهلية عامّةً والشعر الجاهلي بصفة خاصة كثيراً من الأحكام التي يناقض بعضها بعضاً، والتي تنجم عادة عن دوافع دينية او قومية او تاريخية لا تمت بصلة إلى علم النقد وقواعده ومقاييسه.

ويتجلى ذلك في عدة مظاهر منها التالية:

١- إذا أراد المؤرخون التدليل على عظمة الإسلام لم يجدوا طريقاً أسلم ولا أسهل من التقليل من شأن الحياة في الجاهلية، فيسمون تلك الحقبة بالتخلف الثقافي والاجتماعي والديني والسياسي، وينسبون إلى أهلها الجهل والفقر والزنا والمرض وكل أسباب التخلف والتقهقر ومظاهرهما[١].

والسؤال هو: كيف تنتج حقبة من هذا القبيل أدباً راقياً كالأدب الجاهلي الذي يصفه بعضهم بأنه أرقى نماذج الشعر العربي[٢].

٢- يتحدث المؤرخون عن الشعر الجاهلي فيرفعون من قيمته ويعلون من شأنه. ولكنهم إذا وازنوه بالبيان القرآني انهالوا عليهم مسخاً وتشويهاً كما فعل الباقلاني حينما ارتأى أن يوازن بين البيان القرآني ونموذج من شعر امرئ القيس هو المعلقة في كتابه (إعجاز القرآن) فلم يَرض طريقاً أسهل إلى الإشادة بالبيان القرآني من تشويه امرئ القيس وتمريغ أنفه في التراب[٣]. ومع ذلك لم ينفر أحد للدفاع عن الأدب الجاهلي ولا للدفاع عن امرئ القيس، لأن القضية تتعلق بترسيخ نظرية الإعجاز القرآن. والهدف الديني في هذا المقام أولى وأجدر بالتقديم من الهدف الأدبي الصرف في نظر هؤلاء. ولو أراد ناقد معاصر أن يعرب عن رأيه في الشعر

---

(١) جورج غريب: الجاهلية، ص٦٢. وما بعدها وانظر كذلك للمؤلف نفسه: شعر اللهو والخمر، ص٨.

(٢) محمد عبد المنعم الخفاجي: الشعر الجاهلي، ص٣٩١. وانظر ساعات بين الكتب للعقاد ص١٧٤.

(٣) أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، ص١٦٠ وما بعدها.

wadod.org


الجاهلي بصدق وأمانة لخفّ هؤلاء للمناداة بالثبور وعظائم الامور، كأن النقد أثواب مختلفة الأوصاف والألوان يلبس منها الناقد في كل مقام ثوباً على نمط قولهم: البس لكل حالة لبوسها.

٣- عند الحديث عن دور الشاعر الكبير محمود سامي البارودي في النهضة الشعرية المعاصرة، يسندون إليه فضل إعادة الشعر العربي إلى ما كان عليه في العصور العباسية الزاهية من فخامة وقوة وحيوية[١]. ولم يذكر أحد أنه أعاده إلى ما كان عليه في العصر الجاهلي، مع أن بعضهم يفضل الشعر الجاهلي على العباسي.

٤- نقرأ حديثاً كثيراً في كتب تاريخ الأدب العربي عن مزايا الشعر الجاهلي. ومع ذلك حين نقرأ عن فنّ المعارضة في الشعر المعاصر لانجد أحداً عارض قصيدة جاهلية ولا افتخر بشاعر جاهلي. ولنا شاهد على ذلك من شوقي الذي عارض أبا تمام والبحتري والمتنبي وابن زيدون وغيرهم. ولم يعارض شاعراً جاهلياً ولا افتخر بشاعر جاهلي. ولا ريب في أنِ شوقي أصدق ذوقاً وأصحّ حكماً من كل هؤلاء الذي يتحدثون عن الشعر الجاهلي فينفذون إليه من زوايا دينية أو سياسية أو قومية، إذ أن شوقي حين عارض القصائد المشار إليها كان يرى فيها النماذج الرفيعة للشعر العربي، وكان يستعين على هذا الرأي بذوقه الأدبي الناضج، ويصدر في ذلك عن نزعات فنية جمالية بحتة.

هذه الشواهد كلّها تثبت أن المؤرخين والنقاد لم يضعوا قضية الشعر الجاهلي في موضعها الصحيح، ولم يحاولوا أن يقوّموه التقويم الحقيقي. بيد أن ثمة فئة قليلة منهم أدركت أبعاد القضية فحاولت أن تعالجها بكثير من الحكمة والسداد. من هؤلاء أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) الذي استطاع أن يخرج من معالجته لموضوع الشعر الجاهلي بنظرية ذات قيمة وشأن تأخذُ في حسابها الذوق والملكة الأدبية دون بقية الاعتبارات الأخرى التي لا دخل لها في عملية الحكم على العمل الأدبي كالدين والسياسة والوطنية وما إلى ذلك.

وهذه مقتطفات مما قاله ابن خلدون بهذا الصدد:

قال: وبقي أمر هذه الملكة (يقصد الملكة الأدبية) مستحكماً في المشرق في الدولتين (الأموية والعباسية) وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية[٢]. وقال:

---

(١) أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، ص٦١-٦٢.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص٥٦٦.

wadod.org



اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب. وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس، وأكثره شعر كتاب الأغاني، لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلّه والمختار من شعر الجاهلية[١]. وقال: ويظهر لك في هذا الفصل وما تقرر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم. فإنا نجد شعر حسّان بن ثابت أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم. والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة[٢]. وأضاف معللاً: والسبب في ذلك أن هؤلاء الذي أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم. فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها. فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقاً من أولئك وأرصن مبنى وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة[٣]. وأضاف متحدثاً عن قيمة النظرية: (ولقد سألت يوماً شيخنا أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا، وكان شيخ هذه الصناعة: ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين . ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه. فسكن طويلاً ثم قال لي: والله ما أدري. فقلت: أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ولعلّه السبب فيه، وذكرت له الذي كتبتُ. فسكت معجباً، ثم قال لي: يا فقيه ! هذا كلام من حقّه أن يكتب بماء الذهب...)[٤].

وبقليل من التأمل نجد أن هذه المقتطفات تقرر الحقائق التالية:

---

(١) المصدر نفسه: ص٥٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨٠.

(٣) المصدر نفسه والمكان.

(٤) المصدر نفسه والمكان.

wadod.org



أولاً: أن السبيل الوحيد لنظم الشعر هو تربية الملكة الأدبية، وذلك بحفظ كل جيد ورفيع من الشعر العربي.

ثانياً: أن القلة القليلة من الشعر الجاهلي تدخل في باب المختار من الشعر العربي.

ثالثاً: أن الشعراء الاسلاميين (ويقصد بهم شعراء صدر الإسلام والدولة الأموية والعباسية) أرقى في درجات البلاغة من الشعراء الجاهليين.

رابعاً: كان تعليله لرأيه أن الشعراء الإسلاميين استفادوا من مزايا البيان القرآن والحديث النبوي الشريف، في حين فات الجاهليين ذلك.

خامساً: أنه وجد من يؤيد نظريته من شيوخ العلم، وبخاصة شيخه أبا القاسم الشريف قاضي غرناطة في عهده.

**ونستخلص مما سبق الحقيقتين التاليتين:**

١- أن ابن خلدون كان يملك القدرة على الموازنة بين الأساليب الأدبية والمستويات الشعرية معتمداً على مقياس ذوقي جماليّ بحت.

٢- أنه كان أنفذ بصراً في كيفية التدليل على سمو البيان القرآن ورصد تأثيره في الأجيال التالية من الشعراء رصداً عقلانياً ناضجاً.

هذه هي نظرية ابن خلدون في الشعر الجاهلي. وهي تحسم خلافاً حول قيمة الشعر الجاهلي طال أمده، وتضع علامات بارزة يمكن الاهتداء بها في الموازنة الأدبية بين الآثار المختلفة، وتقدم لنا مقاييس أدبية صرفة، تقوم على البصر النافذ وتبتعد عن العواطف والأهواء.

wadod.org



# قائمة المصادر والمراجع


١- ابن الاثير، ضياء الدين أبو الفتح الجزري:

أ- الاستدراك في الرد على سالة ابن الدهان، تحقيق محمد شرف، القاهرة، ١٩٥٨م.

ب- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وصاحبه، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن: المقدمة، نسخة مصورة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م.

٣- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في نقد الشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

٤- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.

٥- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق قميحة، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٦- الجرجاني، علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وصاحبه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١م.

٧- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٨- الزيّات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.

٩- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أخبار أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، وصاحبيه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠- العقّاد، عباس محمود: أ- ساعات بين الكتب، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت، (دون تاريخ).

ب- مراجعات في الآداب والفنون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦.

١١- الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، حريصا، لبنان، ١٩٥٣م.

١٢- القنوجي، صدّيق بن حسن: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م.

١٣- الكتّاني، الدكتور محمد: الصّراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

١٤- حلمي بك، محمد كمال: أبو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، إدارة ومكتبة مطبعة الشباب، القاهرة، ١٩٢١م.

١٥- خفاجي، محمد عبد المنعم: العصر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

١٦- سلّوم، الدكتور داود: مقالات في تاريخ النقد العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.

١٧- غريب، جورج: أ- الجاهلية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.

ب- دراسة ونصوص، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م.

ج- شعر اللهو والخمر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

١٨- هيكل، الدكتور أحمد: تطوّر الأدب الحديث، دار المعارف بمصر، ١٩٩٣م.

wadod.org

# لغة الإعلام الديني

الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

**وظيفة اللغة:**

اللغة أهم وسيلة إعلامية يستخدمها الإعلاميون في إيصال معلوماتهم إلى الجمهور المتلقى، وإذا كانت اللغة قد عرفها ماروزو بأنها وسيلة إبلاغ وتواصل[1]. فهذا يعني أن جزءاً كبيراً من مهمتها ووظيفتها هو الإبلاغ والإعلام، فضلا عن أن «التواصل» هو نتيجة لإعلام ما في نفسك للآخرين، وإعلامهم ما في أنفسهم لك، وبذلك يحصل «التواصل»، وفي كلتا الحالتين تكون اللغة وسيلة إعلامية، بمعنييها: اللغوي والاصطلاحي.

وإذا كانت اللغة أصواتاً يعبّر كل قوم بها عن أغراضهم، كما يقول ابن جني: (٣٩٣ هـ)[2]، فذلك يعني أن هذه الأصوات التي تستخدمها اللغة بتناسق تام بين أجزاء الكلمة، ثم أجزاء الجملة، ثم أجزاء الفقرات الكلامية، تتوظف جميعها في صياغة كلام يقصد إلى معان ودلالات أرادها المتكلم، ليعلم بها غيره، وهذا هو المراد بقول ابن جني: «يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

ولما كان غرض الإسلام هو إيصال الأفكار، وإيصالها بالأسلوب الصوتي المنسق، والمنظم منه كلام، لذلك كانت اللغة في ذاتها أسلوب إعلام.

والإعلام لغة، مصدر الفعل «أعلم» المزيد بهمزة على الفعل «علم»، ودلالة الثلاثي منه هو حصول العلم في نفس زيد من الناس عن معلومة من المعلومات،

---

(١) انظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٣.

(٢) الخصائص: ١/٤٠.

wadod.org



فنقول: «علم زيد الأمر»، إذا حصل في نفسه معرفة به، وحين نريد أن نجعل هذه المعلومة منتقلة إلى الآخرين نقول: «أعلمتهم» أي: أوصلت إليهم المعلومة. ومن هذا المنطلق يكون لفظ «الإعلام» الذي هو مصدر، تعني الإيصال للمعلومة المطلوب إيصالها.

ولم يتوقف الاعتماد على اللغة - في العصر الحاضر - على كونها وسيلة اتصال أو إبلاغ، بل أصبحت - اليوم - في وسائل الإعلام المكتوبة، والمسموعة والمرئية صناعة متطورة، لها علاماتها الفارقة وخصائصها المميزة، «لقد غادرت كونها وسيلة للتفاهم فقط، وأصبحت كما يسميها باحث معاصر: ذات عرش اتصالي، أسهمت في تأسيسه الصحافة بتوزيعها الواسع، ووسائل الإعلام الإلكترونية ***Elctronie medi*** التي تخضع إلى العالم - يومياً - آلافاً مؤلفة من النصوص الإعلامية من قبيل الأخبار والتعليقات والتحقيقات الصحفية والتقارير والمقالات والدراسات، والموضوعات المختلفة التي تخاطب كل شرائح المجتمع الدولي بمختلف مستوياته الثقافية والعمرية»[(١)].

وتميزت اللغة الإعلامية بخصائص أخرجتها عن كونها تقليداً تعبيرياً، أو تقليداً تعبيرياً فنياً يستخدمه الأديب شاعراً كان أو ناثراً إلى لغة ذات مقومات خاصة ودقيقة، فليست هي لغة عادية، ولا هي لغة أديب متخيرة الألفاظ، فنية التعبير، يقول د. عبد العزيز شرف: «لا نعني باللغة الإعلامية ما توصف به اللغة الأدبية من تذوق فني جمالي، أو ما توصف به اللغة العلمية من تجريد نظري، إنما نريد باللغة الإعلامية أنها لغة بُنيت على نسق. عملي اجتماعي عادي، فهي في جملتها فن يستخدم في الإعلام بوجه عام»[(٢)].

لقد أثرت في اللغة الإعلامية المعاصرة جوانب كثيرة من التأثيرات كالتعريب والترجمة، والاقتباس، وتأثير الصياغات الإعلامية المختلفة في الوسائل المقروءة والمشاهدة والمسموعة.

---

(١) اللغة الإعلامية: الدكتور عبد الستار جواد: ص٧.

(٢) المدخل إلى وسائل الإعلام ص٢٢٨، ط: سنة١٩٨٩.

wadod.org



**أنواع الإعلام:**

والإعلام متعدد الاتجاهات والأساليب، ولكل موضوع يحتاج إلى نشر وإعلام، منهجه وطريقة العمل فيه، فهناك:

أ - إعلام تجاري: وهو الذي يقوم على طريقه الإعلان التلفزيوني أو الصحفي، ويستخدم عبارات مغرية، بأسلوب الترغيب، والإقناع، وتوجيه الأنظار إلى أهمية المادة التجارية المعلن عنها، وتفضيلها على سائر المواد الأخرى التي تكون من جنسها، وصرف النظر عما سواها، وهذا الإعلام يخلق جواً للمنافسة التجارية، وبقدر ما يستفيد منه صاحب الشأن يستفيد المعني بشراء المادة التي جرى الإعلام فيها، لأن جو المنافسة يؤدي إلى رخص الأسعار وكثرة المواد التي هي من جنس واحد في السوق، ولغة هذا الإعلام هي مفردات تجارية تخص الأسعار والأثمان، والجودة والرداءة.

ب - إعلام فني وثقافي: وهو الذي يقوم على أساس توجيه أنظار الجمهور إلى العناية بقضايا الفن والثقافة والمعارف كعروض السينما والمسرح، ومعارض الكتب، وصدور المؤلفات والتحقيقات، وأعمال الفنانين والأدباء والعلماء والمفكرين، وتقوم الصحافة والإذاعة بقسط كبير من الجهود في هذا المضمار، فالصفحات الثقافية والأدبية والفنية في الجرائد والمجلات، والإذاعة والتلفزيون، ودور السينما كلها تخصص مجالات، وأوقاتاً للإعلام، والإشهار عن مثل تلك الإصدارات والأعمال الفنية والأدبية والعلمية المتنوعة، ولغة هذا الإعلام، لغة تختلف عن غيرها، فهي تستخدم ألفاظا خاصة بالفنون ومناهجها والآداب والثقافات المختلفة، بمستوى لغوي يغلب عليه الإثارة والتنبيه، والتوجيه، والدعوة إلى الاهتمام بما تعلن عنه من إصدارات، ووزارة الإعلام مؤسسة قائمة على ذلك.

ج - إعلام سياسي: وهو نمط خاص من أنواع الإعلام تستخدمه الدول في الإفصاح عن سياساتها، ونظام حكمها وطروحاتها في ميدان السياسة الداخلية والعالمية، وتقوم وزارة الخارجية، باستخدامه أسلوبا لإيصال سياسة الدولة إلى العالم الخارجي، كما تقوم وزارة الإعلام - فضلا عن تخصصها بالإعلام الثقافي والمصرفي والفني - بمهمتها الإعلامية داخل البلد، للإفصاح عن موقف الدولة إزاء مسألة ما، تثار ضدها أو لمصلحتها خارج البلد أو داخله، فتقوم الصحف

wadod.org



والمجلات والإذاعة والمشهاد(التلفاز) بالإعلام عنه، وإيضاح موقف الدولة لجماهير الناس.

ولغة هذا الإعلام يطغى عليها الجانب (الدبلوماسي)، واستعمال ألفاظ خاصة بالسياسة والحكم، ومبادئ النظام القائم، كألفاظ الاستعمار، والسيطرة، والاستغلال، (والإمبريالية) و(البرجوازية) والرأسمالية، والاشتراكية، والوحدة، والتحرر، والعنصرية، والتعصب، والشعوب، والظلم، والاستبداد، والعمالة، والخيانة والمعرضة، والثورة.. إلخ وما من مقال سياسي ولا افتتاحية في جريدة أو مجلة إلا وهي موضوع إعلامي، يكتبه المحرر لتوجيه الأنظار إلى قضية من قضايا الدولة، معالجاً أو مفنداً، أو راداً، أو موضحاً بأسلوب تكثر فيه ما أشرنا إليه من ألفاظ لصيقة بالسياسة والنظام.

وقنوات هذا الإعلام كثيرة، وكل وزارة أو إدارة من إدارات الدولة مسؤولة عن التزامه، والتعبير من خلاله، بما يناسب منهج الدولة القائمة وسياستها في الخارج والداخل.

وتشيع لغة هذا الإعلام - أعني السياسي - في كل الوسائل المتاحة للتعبير، كالصحف والمجلات، وهي الوسيلة المقروءة، وكالتلفاز والسينما والمسرح، وهي الوسيلة المشاهدة والمسموعة، أو التي تقتصر على السماع، وذلك عن طريق المذياع.

د - جوانب إعلامية أخرى: إن لكل موضوع من موضوعات الحياة لغة تعبر عنه، وتفصح عن مكوناته، وموضوعات الحياة متعددة منها فلسفية مجالها الفكر والمنطق والجدل، ومنها مادية، مجالها التجارب والخبرات المحيطة بالأحياء والإنسان والجماد، فالزراعة والصناعات والطب والهندسة والفلك والحيوان والنبات، ونشاطات الإنسان المتعددة فوق الأرض، كالسياحة في الفضاء والسياحة في الوجود، والسياحة الروحية، والرياضات، وغيرها مما يتعلق بحركة الإنسان على الأرض، كل ذلك يمثل جوانب بارزة في حياة هذا المخلوق، وهي تخصصات يتميز بها فرد عن فرد، فالذي يتخصص بمجال الطب يختلف عن الذي يتخصص بمجال الزراعة أو الهندسة، أو الرياضة، ومن هنا كانت لهذه المجالات التخصصية لغة ذات طابع متميز كذلك. والدوائر التي يهمها أن تفصح عن توجهاتها، ومناهجها يجب أن تسلك مسلكا إعلاميا خاصا بها، فالإعلام

wadod.org



الرياضي - مثلا - إعلام يستخدم أسلوب التشويق، وإثارة حماس الجماهير باتجاه فن معين من فنون الرياضة المختلفة، ومن هنا نجد أن لغة كرة القدم تختلف في مصطلحاتها ومفاهيمها عن لغة كرة اليد أو كرة السلة أو الجودو والكاراتيه والمصارعة الحرة أو الرومانية، أو السباحة، والإعلام الزراعي، إعلام تنبيهي يستخدم الأسلوب العلمي التخصصي، ومفرداته تدور حول الآفات الزراعية، والاستصلاح، والتربة، وتحسين الإنتاج الزراعي، والأسمدة، والآلات الحراثية، والآلات المستخدمة في ذر الحبوب، أو تنقيتها أو تطعيمها، أو تحسينها إلى غير ذلك مما يكون مجاله الزراعة والري و الإنتاج والتنمية والتكثير والتحسين. إن لغة الإعلام تتنوع بتنوع التخصصات، كما تتنوع أساليبها تنوع الهدف الذي ترمي إلى تحقيقه تلك التخصصات، فمن لغة ترفيهية مترفة إلى لغة جادة هادفة إلى لغة عاطفية مثيرة، إلى لغة تنبيهيه هدفها التوجيه، والإرشاد، إلى لغة تعليمية تربوية، إلى لغة هادفة إلى الترغيب والإقناع، إلى لغة عقلية، تخاطب الفكر والوعي... وكل تلك الأنواع التعبيرية في لغة الإعلام مرهونة بالغاية والهدف التي استعملت فيه، هذا فضلا على أن لغة الإعلام بشكل عام ذات ميزات خاصة[١].

يبقى - عندنا - لغة الإعلام الديني، التي يتبنى العمل بها الدعاة العاملون في حقل التوعية الدينية والإرشاد، إبلاغ الرسالة السماوية إلى البشر. فكيف كانت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكيف صارت لغة الدعاة في الأقطار الإسلامية، التي يتكلم شعوبها لغة محلية أو قومية، لا تمت إلى العربية بصلة. هذا ما سندرسه فيما يأتي من البحث.

**الإعلام في زمن الرسول**(صلى الله عليه وآله وسلم):

مما لا شك فيه أن الشاعر في الجاهلية كان لسان القبيلة الذي ينافح عنه بلسانه، ويرد على الخصوم بما يكيل لهم من الهجاء المقذع والشتم وبيان المساوئ، والمثالب التي تؤخذ على القبيلة الخصم، ولذلك كان الشعر سلاحاً إعلامياً قوياً تستخدمه القبيلة ضد خصومها كما كان - أيضاً - وسيلة مهمة لإشهار مفاخرها وأمجادها، ورفع قيمتها بين العرب، ولذلك نجد في تاريخ الإعلام الشعري صوراً من الأمجاد التي نالتها القبائل بوساطة قول لشاعر يمجد فيه

(١) التحفة الإعلامية: د. جواد: ص١٠.

wadod.org



القبيلة، أو يذكرها بصفة من الصفات، كما فعل الشاعر الحطيئة مع قبيلة (أنف الناقة) الذين أصبحوا معروفين ببني (أنف الناقة) في العرب، وهم بطن من بني سعد بن زيد مناة، يقول العلماء العرب[١]: «وإذا نسبوا إلى بني أنف الناقة.. قالوا: فلان الأنفي، سموا أنفيين، لقول الخطباء فيهم: [من البسيط]

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

ولقد كانت هذه الوسيلة الإعلامية تسير في العرب فتدخل في حواضرهم وبواديهم فتتردد على ألسنة أبناء القبائل، كما يفعل الإعلام المعاصر اليوم في إذاعة المعلومات وإشاعتها في أوساط جماهير الناس.

ولما كان الشعر ميدانا فسيحا لإبراز القيم والمشاعر، وإثارة الأحاسيس، وتوجيه الإيعاد والإنذار إلى الخصوم، كان أقوى الوسائل الإعلامية المستخدمة في المعارك والحروب والمنازعات، فهذا عمرو بن كلثوم التغلبي يجري إيعاده وتهديده على لسانه في قصيدته التي يوجهها إلى أبي هند فيقول[٢]: [من الوافر]

أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

بأنّا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

وأيام لنا غرٍ طوال... عصينا الملك فيها أن ندينا

وهكذا يجد العربي في الشعر سلاحاً إعلامياً قوياً، يستطيع فيه أن يستخدم اللغة التي تناسب القضية التي ينافح من أجلها من إشهار للقيم، أو غضٍ للخصوم، أو إذاعة للمفاخر.

وحين جاء الإسلام بقيمه الجديدة، وتحولت القبيلة من مجتمع بدوي إلى مجتمع جديد ينبذ العصبية، ويساوي بين الناس، ويوحد المشاعر والأفكار، ويوجهها جميعا في خدمة العقيدة الإسلامية، وتنزيه الخالق، وتكريم البشر، لم يجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو القائد لجماهير المسلمين بدّاً من أن يجعل من الشعر أداة إعلامية مهمة في نشر مبادئ الدين، والدفاع عن العقيدة، ورد الخصوم وتحميس الدعاة، وتثبيتهم على المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها

---

(١) انظر: لسان العرب (أنف): ج: ١٠/ص٣٥٩.

(٢) معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي: شرح القصائد للزوزني: ٣١١.

wadod.org



الإسلام، ومن هنا خص النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) شعراءه من مثل عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي وغيرهم بالتقدمة والرعاية، ولذلك كان يقول لحسان: «اهجُ المشركين فوالله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام»، وكان يقول له: «اهج المشركين فإن جبريل معك»[١]، لأنه (ص) كان يعلم ما لهذا الشعر من أثر في نفوس المشركين، حين يسمعونه، وهو يذكر مثالبهم، ويظهر معايبهم، فتسير في العرب سير النار في الهشيم.

وكان الشعر الإعلامي يتخذ طريقين في تناول الخصوم أولهما: غمز المشركين بأنسابهم، وهذا النوع يتكئ على مفردات:

النسب وصلة الأرحام، والروابط القبلية، ولذلك ينظر إلى الشاعر المقتدر على هذا النوع من الشعر أن يكون دقيقا في معانيه ومراميه حين ينظم الشعر، وكان حسان عارفاً بمثل هذا النوع من الشعر، فحين استأذن حسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هجاء المشركين، قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢]: «فكيف بنسبي؟»، فقال حسان: «لأسلّنّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين» وحين تناول حسان أبا سفيان[٣]، وهو من قريش وهي قبيلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: [ من الطويل ]

وان سنام المجد من آل هاشم ... بنو بيت مخزوم ووالدك العبد

ومن ولدت أبناء زهرة منهم ... كرام ولم يقرب عجائزك المجد

وحسان تميز بمعرفة الأنساب دون ابن رواحة وكعب بن مالك، وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال فيه: » قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لا

---

(١) وفي رواية أخرى: «اهجهم» أو «هاجهم» و«جبريل معك» رواه البخاري ٤٣٥/١٠ ومسلم: ٢٤٨٦.

(٢) جامع الأصول: ابن الأثير: ١٧٤/٥-١٧٥.

(٣) ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه، وكان يؤذي الرسول، ثم أسلم وحسن إسلامه.

wadod.org



تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: «والذي بعثك بالحق لأسلّنّك منهم كما تسل الشعرة من العجين».

وقالت عائشة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى، فقال حسان: [من الوافر]

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
وقال الله: قد سيّرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كلّ يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء»[1]

فمفردات هذا النوع من النفح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تدور في موضوع النسب والشرف والانتماء، والأعراض والسب والشتم والهجاء، وهي أمور ألصق بحياة الناس وأمور دنياهم.

أما الضرب الثاني وهو الأهم في نظر العقيدة والفكر الإسلامي، فهو تناول المشركين بما هم عليه من الكفر والضلال، والبعد عن حقيقة الدين والحق والنور الذي جاء لهدايتهم وإنقاذهم من الظلم والجهل والفساد.

ولغة هذه النمط من الإعلام، لغة تخاطب العقل، وتحاججه، وتثير في النفس نوعاً من الاطمئنان والارتياح، وإبعاد الشك والارتياب في الخالق والكون، والحياة والموت، وهي لغة موظفة لنقل الفكر الديني إلى المتلقي صافيا واضحا، واضح الأهداف، ليس فيه غموض ولا التباس، يجمع بين العقل والعاطفة، في إطار الدعوة إلى الإيمان بالدين ومبادئه ومثله.

وقد قام الشعر خلال عصور الحضارة الإسلامية بهذه المهمة خير قيام، كما قام الوعاظ والمرشدون والخطباء بحمل قسم كبير من عبء نشر الدعوة، وإقناع

---

(١) انظر: ج٥/ص١٧٦-١٧٧ من جامع الأصول.

wadod.org


الناس، لقد كان كعب بن زهير مشركاً بعيداً عن الفكر الجديد مناهضاً له. ولكنه حين آمن، وصدق بالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلم أنه مرسل من ربه إلى العالمين، وأن قرآنه الذي أنزل عليه فيه مواعيظ وتفصيل تمسك بهذه المفردات، ونظمها في شعره ودعا إليها: [ من البسيط ]

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل[1]

فكانت هذه المعاني تصديقا للعقيدة ومبادئها، وبثاً لقيمها في جمهور المسلمين، وكلما تقدم الزمن بقادة الدعوة وحملة الفكر الإسلامي تعمقت المفاهيم والقيم، ورسخ الإيمان بها، وحرص الدعاة على تبليغها إلى سائر المدعوين من البشر.

وكانت تلك المفاهيم الواضحة الناصعة في تفكير المسلم هي الوسيلة القوية لإعلام الناس بها، ومن هنا كانت هذه الوسيلة سلاحاً أقوى من سلاح الحرب والقتال في نشر الإسلام، ولا سيما في البلاد المفتوحة من الأقاليم غير العربية. وبقي أسلوب الوعظ والإرشاد، وخطب الجمع، ومجالس العلم والأدب في بغداد والعواصم الإسلامية مناراً دعوياً للتثقيف، والبناء الفكري، وترسيخ مفاهيم الدين في نفوس المتلقين. ولكل جانب من هذه الجوانب - أعني وسائل النشر والدعوة، منهج لغوي متميز، فالواعظ يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب، ووصف الجنة والنار، بعبارات تصويرية رائعة واضحة، قصيرة الجمل، متناسقة الأجزاء، متسلسلة الأفكار، وخطيب الجمعة، أو خطباء المنابر يستخدمون لغة مؤثرة تغلب عليها العواطف المشبوبة، والأحاسيس الجياشة، ليستطيع إثارة حماس الجمهور المتلقي، واستيعاب المعاني، والتأثر بها، والخطيب يهمه التوجيه، والإثارة والإقناع، ولذلك يجعل تراكيبه وجمله تمزج بين العقل والعاطفة، لتقوم أفكاره المنطقية بالإقناع وقوة الحجاج، وتقوم العاطفة بالاستمالة والترغيب أو الترهيب، وذلك كله يتطلب قصر الجمل، ووضوح العبارات وسلامة الفكرة، وربما استخدم أسلوب الازدواج والمقابلة والمطابقة والتجنيس، لتشارك موسيقى الألفاظ العاطفة في قوة التأثير.

---

(١) شرح بانت سعاد: مجلة الآداب: ١٩٧٥م. بغداد: لكمال الأنباري.

wadod.org



والذي يستمع - اليوم - إلى خطباء الأزهر، وسائر المساجد الإسلامية، يدرك أهمية الخطيب في التأثير والإرشاد، وتحريك نفوس المصلين باتجاه ما يريد إثارته في نفوسهم: وعلى الجملة فإن أساليب الإعلام اللغوية الدينية يمكن أن تتميز بما يأتي:

**أولاً**: قصر العبارات مع وضوح الفكرة، وقد تكون اللفظة الواحد خير من عبارة طويلة، تلبس على المتلقي ما يراد منها.

**ثانياً**: التزام العبارة العربية الأصيلة، والأحسن التزام لغة القرآن أو الحديث النبوي في إعطاء الفكرة الإسلامية أو الحكم المنصوص عليه في كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا الجانب يلزم الدعاة أن يتجنبوا المفردات الأجنبية والدخيلة، أو الركيكة أو القليلة الاستعمال[1].

**ثالثاً**: تقليل استخدام الصفات والظروف التي تجعل العبارات ثقيلة متداخلة، والتعبير الواضح المباشر يكون أسرع في إيصال الفكرة. فقولك: «المؤمنون أخوة» تحمل في طواياها كل معاني الأخوة من تعاون وتواد وتراحم، وعطف، واتحاد، ولو حاولت التعبير عن كل ذلك تطلب منك أن تورد عبارات وجملا طويلة قد تشمل صفحات.

**رابعاً**: استخدام اللغة المتخصصة في المجال الذي يتحدث به الداعية، فإذا كان الحديث عن الزكاة، فينبغي للمتحدث أن يحصره في ذلك الموضوع، لأن الخروج من موضوع إلى آخر يضيع الفرصة على الداعية أن يوصل الفكرة كاملة.

**خامساً**: تجنب التكرار، وإعادة العبارات التي تثير الملل والضجر، وكلما تنوعت العبارات، وجدّت طريقة التعبير وتلونت أساليبه، كان ذلك أدعى إلى الانتباه واستيعاب الكلام ومعانيه.

**سادساً**: استعمال علامات الترقيم والتنصيص الأصولية في الكتابة، واستعمال أساليب التعابير المختلفة في الكلام والأداء والأفراد كالنبر والاستفهام، والتعجب والنفي والأمر والنهي، والتنبيه والنداء.. وغيرها، لأن ذلك كله يجعل إيصال ما يراد من أفكار واضحاً سليماً لدى المتلقي.

---

(١) ورد مثل ذلك في وصية هوغسون. انظر اللغة الإعلامية: ٣٣.

wadod.org



**سابعاً:** محاولة جعل فقرات الكلام قصيرة، لأن الكلام إذا طال، وابتعد آخره عن أوله، نسي أوله، أو ضعف الرابط بين ما تقدم وما تأخر منه، حتى يستطيع النص الإعلامي الإسلامي أن ينقل الفكرة الكاملة في فقرة قصيرة واضحة التراكيب.

**ثامناً:** تجنب المفردات القاموسية والمعجمية، ويستطيع الإعلام الديني أن يبني تراكيبه وجمله من مفردات واضحة فصيحة مفهومة لدى جمهور القراء والمتلقين، لأن الغاية هي وصول الفكرة، لا بيان قدرة الداعية من اللغة وعليها.

**تاسعاً:** تجنب إيراد العبارات الجاهزة، فالصحفي الإسلامي مطالب بأن ينوع في التعبير، وأن يعبر عن شخصية تمتلك المعاصرة، وتعرف كيف تختار المفردات والعبارات الجديدة التي لا تخرج عن دائرة السلامة اللغوية، وفصاحة التركيب، لأن الغاية هي إيصال المفهوم إلى القارئ أو المتلقي بالمعنى الذي ترمي إليه العقيدة الإسلامية.

**عاشراً:** محاولة التزام الزمن الواحد في العبارات والتراكيب، فإذا كان الحديث عن الماضي، فالأفضل بقاء الكلام في الماضي حتى الانتهاء من الفكرة، فإذا تحول إلى فكرة معاصرة، فالانتقال إلى زمن الحضور يكون أنسب في العبارة، أما المزج بين الأزمنة من غير مناسبة، والقفز من حين إلى حين، فإنه يؤدي إلى الوقوع في اللبس، ويربك تسلسل الأحداث، ويضعف في المتلقي متابعة ما يقرأ أو ما يسمع.

**حادي عشر:** دعم الفكر والمعتقد بالأمثلة الحية من الواقع الإسلامي والتاريخ، وتقوية ذلك بما يناسب من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والمثلية، لما في ذلك من ترسيخ للمفهوم وتحقيق للفكرة في نفوس المتلقين، والقراء والمشاهدين، على اختلاف أساليب الإعلام والنشر.

إنّ هذه الميزات في لغة الدعاة، والإعلام الديني، تساعد على نجاح مهمة الإعلامي، والداعية، وتكلل عمله بالدقة وصحة النهج، وتوصله إلى هدفه بشكل أكيد، وذلك غاية ما يرجون دعاة الدين والعاملون في ميدان الإعلام.

wadod.org



**مصادر ومراجع:**

١ ـ أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: الدكتور رشيد العبيدي: ١٩٨٦م بغداد.

٢ ـ جامع الأصول: ابن الأثير (٦٠٦ هـ): القاهرة.

٣ ـ الخصائص: ابن جني (٣٩٣ هـ): ط: دار الكتب.

٤ ـ الإعلام والفقه: الدكتور محمد سيد محمد: القاهرة: ١٩٨٤.

٥ ـ اللغة الإعلامية: الدكتور عبد الستار جواد، ط: الإعلام ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٦ ـ لسان العرب: ابن منظور: (٧١١ هـ)، ط: بولاق.

٧ ـ القاموس المحيط: الفيروز أبادي (٨١٧ هـ)، مصر.

٨ ـ مجلة كلية الآداب: بغداد: ١٩٧٥.

٩ ـ شرح القصائد: الزوزني، مصر.

١٠ ـ صحيح البخاري: ط: مصر.

١١ ـ صحيح مسلم: ط: مصر.

١٢ ـ المدخل إلى وسائل الإعلام: الدكتور عبد العزيز شرف: القاهرة: ١٩٨٩م.